روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

ذئب الأحراش

٣٦

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل ● ذئب الأحراش ● ٣٦ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

المؤلف
د. نبيل فاروق

رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٣٦

ذئب الأحراش

- ما سرّ تلك المحاولة الخبيثة ، لزرع الخلاف بين (مصر) ومواطنى (جنوب إفريقيا) ؟
- لماذا يحارب (أدهم صبرى) ورفيقته رجال (الموساد) فى قلب إفريقيا ؟
- أيسقط (أدهم صبرى) أمام منظمة (الذئاب البيض) ، أم يثبت أنه وحده ذئب الأحراش ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ؛ لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : مخلب الشيطان

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ نداء من كيب تاون ..

انطلقت رصاصة قاتلة من فوّهة مسدس من نوع الـ (سميث) ، تشق الهواء نحو رجل يعدُو داخل ممر طويل ، وانحرف الرجل فى نفس اللحظة التى حطّمت فيها الرصاصة حاجز نافذة ، تبعد عنه بضعة سنتيمترات فى نهاية الممر ، وارتفع صوت أقدام ثلاثة رجال يطاردون الرجل الأول فى إصرار ووحشية ، وقفز الرجل داخل حجرة صغيرة ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، ثم دار بعينيه فى أرجاء المكان فى لهفة ، حتى استقرتا فوق جهاز لاسلكى صغير ، يقبع ساكنًا فى ركن الحجرة ، فأسرع نحوه ، وأخذ يدير مؤشراته فى توتُّر محاولاً التوصُّل إلى موجة إرسال خاصة ، وازداد توتُّره حينما بدأ الرجال الثلاثة يدقُّون باب الغرفة فى شراسة وقوة ، ومضى الوقت بطيئًا ، حتى خُيِّل للرجل أنه قد استغرق دهرًا كاملاً ،

قبل أن يتوصَّل إلى الموجة المنشودة ، فثبت جهاز الاستماع والاتصال فوق أذنيه ، وهتف فى توتُّر :

ـــ هنا (س ٦٠٠) يتحدَّث إلى (وكر الثعالب) ، لقد فشلت عملية (الذئب الأرقط) .. أنا محاصر هنا .. لا أمل فى النجاة .

ساد الصمت لحظة مرت كالدهر ، قبل أن ينبعث من الجهاز صوتٌ يقول :

ـــ هنا (وكر الثعالب) .. كيف فشلت المهمة يا (س ٦٠٠) ؟

أجاب وهو يختلس النظر إلى باب الحجرة ، الذى بدأ الرجال الثلاثة يطلقون رصاصاتهم عليه :

ـــ بسبب الخيانة ، لقد خاننا أحد أفراد (الأسْوُد السُّود) ، لقد ....

وقبل أن يتمّ عبارته تحطَّم مزلاج الباب ، واندفع الرجال الثلاثة إلى الحجرة الصغيرة ، واحتبست الكلمات فى حلق (س ٦٠٠) ، ولكنه لم ينس برغم

خطورة موقفه أن يدير مؤشر جهاز اللاسلكى ، كيلا يتعرَّف الرجال الثلاثة الموجة الخاصَّة برئاسته ، وظل ساكنًا يحدِّق فى فوّهات المسدسات الثلاثة المصوَّبة نحوه ، حتى سمع صوت أحد الرجال يقول :

ـــ لا فائدة من المقاومة يا رجل المخابرات المصرية ، لقد انتهى كل شىء .

قال (س ٦٠٠) فى اشمئزاز :

ـــ يا لك من خائن قذر !!

ارتسمت ابتسامة على شفتى الرجل الغليظتين ، وهو يقول :

ـــ حسنًا أيها الرجل .. إنها كلماتك الأخيرة .

وفجأة .. تحرك (س ٦٠٠) ، وركل مسدس الرجل ذى الشفتين الغليظتين ، ثم عاجله بلكمة قوية فى صدره ، واستدار يواجه الرجلين الآخرين ، ولكن أحدهما أطلق عليه رصاصة اخترقت ذراعه ، وحطّمت عظامه ، وبرغم آلامه المبرِّحة ، لكم (س ٦٠٠)

الرجل بأقصى ما يملك من قوة ، وركل الثانى فى وجهه قبل أن يطلق رصاصات مسدسه ، وفجأة أيضًا وجد (س ٦٠٠) الطريق أمامه خالية ، فاندفع محاولًا مغادرة الحجرة .. ولكنَّ الرجل ذا الشفتين الغليظتين ، أطلق رصاصته التى استقرت فى عنق (س ٦٠٠) .

ترنَّح ضابط المخابرات المصرى ، واندفعت دماء الحياة من عنقه ، وحاول أن يتشبَّث بالباب ، ولكنه سقط أرضًا جثة هامدة .

ازدرد الرجل لعابه ، وقال للآخرين :

ـــ ها قد تخلَّصنا منه ، ولا ريب أن المصريين سيرسلون رجلًا آخر .

سأله أحد الرجال وهو ينهض :

ـــ هل تظن ذلك حقًّا ؟

أجابه وهو يشعل سيجارته :

ـــ إنهم لا يستسلمون بسهولة ، وما داموا قد

وصلوا إلينا فى (كيب تاون) ، فهم لن ينسحبوا قبل أن يضعوا نهاية حاسمة للأمر .

سأله الرجل الآخر :

ـــ هل نلغى العملية إذن ؟

هزَّ غليظ الشفتين رأسه نفيًا ، وقال وهو ينفث دخان سيجارته :

ـــ هذا مستحيل أيها الغبىّ .. سننتظر رجلهم القادم و ....

وابتسم فى شراسة ، وهو يردف فى بطء وهدوء :

ـــ ونقتله .

* * *

٢ ـــ إلى الجنوب ..

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يصغى فى انتباه إلى تسجيل رسالة (س ٦٠٠) الأخيرة ، وانتظر حتى انتهت ، ثم قال :

ـــ أظننى أحتاج إلى بعض التفاصيل يا سيِّدى ، فأنا أعلم أن (س ٦٠٠) هو زميلنا (عبد الفتاح) (رحمه الله) ، وأن (وكر الثعالب) هو مقر (المخابرات المصرية) .. ولكن ما عملية (الذئب الأرقط) ؟ ولماذا تتمّ فى (كيب تاون) عاصمة (جنوب أفريقيا) ؟

تنهَّد مدير المخابرات ، وقال :

ـــ سأخبرك بالأمر منذ البداية يا (ن ـــ ١) .

وصمت لحظة وكأنما يستجمع أفكاره ، ثم قال :

ـــ أنت تعلم أن (جنوب إفريقيا) من المناطق التى

مازالت تخضع للاحتلال البريطانى حتى الآن ، وأن المشكلة الرئيسية فيها هى تلك التفرقة العنصرية بين البيض والزنوج ، الذين هم أهل البلاد الأصليون .

سأله (أدهم) :

ـــ وما علاقة هذا بالمخابرات المصرية يا سيِّدى ؟

أجابه مدير المخابرات :

ـــ فى الدول العنصرية عادة ، ينشأ فريق يحاول الإفادة من الموقف ، وفى هذه المرة أراد ذلك الفريق توريط السفارة المصرية هناك ، فى عمل يجلب إليها سخط المواطنين الزنوج ، ويقود تلك العملية واحد من أبرع رجال (الموساد) ، يحاول أن ينسب مقتل بعض المواطنين إلى السفارة المصرية ، وبذا يضرب عصفورين بحجر واحد ، فيحطِّم العلاقة بين (مصر) و (جنوب إفريقيا) ، وينفى التُّهمة عن منظمة البيض الإجرامية المسئولة عن حوادث القتل ، والتى تعاون (الموساد) فى كثير من عملياته ، وتطلق على نفسها اسم (الذئب

الأبيض) ؛ لهذا السبب أرسلنا (س ٦٠٠) فى محاولة لإحباط ذلك المخطَّط ، ولكنه لقى مصرعه كما علمت .

سأل (أدهم) فى اهتمام :

ـــ وما هى منظمة (الأسود السود) التى خاننا أحد رجالها هذه ؟

أجابه مدير المخابرات :

ـــ إنها منظمة من الزنوج مناهضة لمبدأ التفرقة العنصرية ، وتؤمن ببراءة (مصر) من حادث مقتل المواطنين السود ، وكان من المفروض أن تعاوننا فى كشف الأمر ، ولكن أحد زعمائها خائن ، يعمل لحساب (الموساد) .

نهض (أدهم) من مقعده ، وهو يقول :

ـــ متى أسافر إلى (كيب تاون) يا سيِّدى ؟

ابتسم مدير المخابرات لحماسة (أدهم) ، وقال فى هدوء وهو يناوله ملفًّا صغيرًا :

ـــ بعد ساعتين فقط يا (ن ـــ ١) ، بعد أن تحفظ كل كلمة يتضمنها هذا الملف .

* * *

لم يستطع (أدهم) كتمان ضحكته ، حينما وقع بصره على (منى توفيق) فى مطار القاهرة ، كانت قد تحوَّلت بفعل التنكُّر إلى زنجيَّة أنيقة ، لها بشرة فى لون الشيكولاتة ، وشعر مجعَّد كثيف تكوَّر فوق رأسها وشفتان غليظتان ممتلئتان ، وفى كل من أذنيها تدلَّى قرط ضخم أصفر اللون ، وعقدت هى حاجبيها فى غضب ، حينما بدأ يتأمَّلها ضاحكًا ، وهمست فى أذنه ساخطة :

ـــ أنت أيضًا تبدو عجيبًا ، وأنت متنكِّر فى هيئة الزنوج .

استمر (أدهم) يضحك فى مرح لم يلبث أن انتقل إليها ، فتلاشى غضبها ، وضحكت وهى تقول :

ـــ ليتك رأيت (قدرى) وهو يلتقط صورتى بهذا التنكر ، من أجل جواز السفر .. لقد ارتج جسده

البدين وهو يقهقه ضاحكًا ، ويمسك كرشه الضخمة ، محاولًا منعهما من الارتجاج .. لقد استغرق نصف ساعة كاملة ليلتقط صورتى .

قال (أدهم) وهو يقودها إلى حيث ينهى كل منهما إجراءات سفره :

ـــ حسنًا يا عزيزتى (كوبولا) كما هو مدوَّن بجواز سفرك .. سنؤجل هذا الحديث لما بعد .

ضحكت وهى تقول :

ـــ لا بأس يا عزيزى (أندريه صاصو) .. كما هو مدوَّن بجواز سفرك أيضًا .

* * *

ارتفع صوت مضيفة الطائرة تدعو المسافرين إلى ربط الأحزمة ، والامتناع عن التدخين ، استعدادًا للهبوط فى مطار (كيب تاون) ، فالتفتت (منى) إلى (أدهم) ، وسألته بالفرنسية :

ـــ هل نذهب إلى السفارة المصرية مباشرة ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء ، وهو يربط حزام مقعده :

ـــ لن نذهب إليها مطلقًا يا عزيزتى ، فنحن فرنسيان كما يقول جوازا سفرنا .. ونحن هنا فى (جنوب إفريقيا) للتنزُّه والسياحة فقط ، وليست لنا أيَّة مطالب أو علاقات بالسفارة المصرية .

سألته :

ـــ من أين نبدأ مهمتنا إذن ؟

هزَّ كتفيه وهو يجيبها قائلًا :

ـــ من مقر (الأسود السود) بالطبع يا عزيزتى .

عقدت حاجبيها فى مزيج من الدهشة والقلق والتساؤل ، وهى تقول :

ـــ ألا ينطوى هذا على خطر بالغ ؟.. أعنى مادام هناك خائن مجهول الهويَّة وسط رجال (الأسود السُّود) ، فكيف نكشف لهم أوراقنا ؟

أجابها وهو يبتسم ابتسامة ماكرة غامضة :

— لابدّ أن ندفعهم للحركة ، حتى ينتهى الأمر بسرعة يا عزيزتى .
قالت فى غضب :
— هل سنعود لممارسة خُطَّتك الخاصة ، بإلقاء أنفسنا بين أنياب الأسود ؟
عاد يهزّ كتفيه ، قائلًا فى استهتار :
— ولم لا ؟.. إنها أفضل الطرق فى رأيى يا عزيزتى .
وقبل أن تفتح فمها للاعتراض ، أسرع يبادرها قائلًا :
— ها قد هبطنا يا عزيزتى ، وأرجو ألا تكونى قد نسيت معجون الأسنان الخاص بتنظيف أنياب الأسد الخائن وسط (الأسُود السُود) .

* * *



٣ ـ الأسود والأبيض ..

توقّفت سيارة قديمة ـ من طراز يعود إلى عشر سنوات مضت ، أمام منزل صغير ، فى أحد أحياء (كيب تاون) الفقيرة ، وترجّل منها (أدهم صبرى) وزميلته (منى) ، فى زيّهما الذى يجعلهما يشبهان المواطنين تمامًا ، وقبل أن يدقّ (أدهم) باب المنزل الصغير ، اقترب منه شرطى أبيض البشرة ، وسأله بالإنجليزية فى خشونة :
— مهلًا أيها الأسود .. هل لديك رخصة لقيادة السيارات ؟
أجابه (أدهم) بإنجليزية تحمل اللكنة الفرنسية ، وبصوت يحمل رنّة السخرية :
— بالطبع أيها الشُرطى الأبيض الهمام .. لقد استخرجت رخصة دولية من دولتى (فرنسا) .

تطلّع إليه الشُرطى فى شكٍّ ، وقال :
— هل أنت فرنسى ؟.. أيوجد زنوج فى (فرنسا)؟
أجابه (أدهم) بلهجته الساخرة :
— نعم أيها الشُرطى .. تمامًا كما يوجد بيض فى (جنوب إفريقيا) .
ظهر الغضب على وجه الشُرطى ، وصاح وهو يهوى بعصاه الغليظة القصيرة على رأس (أدهم) :
— أغلق شفتيك على أسنانك أيها الزنجى القذر .
توقّفت يد الشرطى فى الهواء ، واتسعت عيناه ذُعرًا وذهولًا ، حينما تحرّكت قبضة (أدهم) كالصاروخ ، وقبضت على معصمه فى قوة .. وشعر الشرطى بالألم حينما انغرزت الأصابع الفولاذية فى رسغه ، وحدّق مدهوشًا فى عينى (أدهم) البارزتين الساخرتين ، وسمعه يقول فى صرامة :
— كلّا أيها الشرطى الأبيض ، إننى زائر فى هذا البلد ، ولم أرتكب ذنبًا يمكنك مؤاخذتى عليه ، باستثناء

لونى الأسود بالطبع ، ولو أنك حاولت إهانتى بحرف واحد ، أؤكد لك أننى سأعمل على نقلك إلى نقطة مرور (سيبيريا) .
تعلّقت عينا الشرطى بعينى (أدهم) لحظات ، ثم غمغم فى سخط :
— حسنًا أيها الفرنسى .. سنتقابل مرة أخرى .
ثم جذب معصمه من قبضة (أدهم) ، وتحرّك مبتعدًا ، متحاشيًا نظرات الشماتة فى عيون الوطنيّين الزنوج ، والذين التفتوا يتطلّعون إلى (أدهم) فى سعادة وإعجاب ، على حين دقّ هو باب المنزل الصغير فى هدوء ، وهو يقول لـ (منى) :
— لقد ازددت إصرارًا على معاونة (الأسود السُود) يا عزيزتى .

* * *

فتح الباب زنجى أشيب الشعر ، تأمّل وجه (أدهم) بنظرات متشكّكة ، قبل أن يسأله فى صوت قوىّ لا يتناسب وجسده الهزيل :

— ماذا تريد يا أخى ؟

أجابه (أدهم) فى لهجة آمرة :

— أريد مقابلة (موناسا) .

تظاهر الرجل بالتفكير ، وهو يقول :

— (موناسا) ؟!.. لست أذكر هذا الاسم .

مال (أدهم) نحوه ، وقال فى صوت خفيض :

— لعلك تتذكّره لو أخبرتك أنه زعيم (الأُسُود السُود) .

اتسعت عينا العجوز دهشة ، وقال وهو يسارع بإغلاق الباب :

— لست أعرف من يدعى (موناسا) يا أخى .

وضع (أدهم) قدمه بين مصراعى الباب يمنع إغلاقه ، وقال فى هدوء :

— زئير الأُسُود يرج الأدغال يا صديقى .

حدّق الرجل فى وجهه بعض الوقت ، ثم غمغم :

— بعض الأُسُود لا تزأر .

ابتسم (أدهم) وهو يكمل العبارة السرّية المتفق عليها ، قائلًا :

— ولكنها تنتصر فى صمت يا صديقى .

فتح العجوز الباب على مصراعيه ، وأشار لـ (أدهم) و (منى) بالدخول ، ثم عاد يغلق الباب خلفهما فى إحكام ، وتقدمهما إلى ما يبدو كحائط مُصْمت ، وأزاح جانبًا من ستارة سوداء تنسدل فوقه ، فظهر باب آخر ، أسرع يفتحه ويشير إليهما بالدخول ..

كانت الإضاءة خافتة داخل الحجرة الجديدة ، ولم تكد عينا (أدهم) و (منى) تعتادان الرؤية فى تلك الإضاءة الخافتة ، حتى تبيّن لهما ثلاثة زنوج ، يجلسون حول مائدة مستديرة ، ويحدّقون فيهما فى اهتمام وتساؤل ، وتقدّم (أدهم) نحو أحدهما ، ومدّ يده يصافحه قائلًا :

— السيّد (موناسا) حسبما أعتقد ، أقدّم لك نفسى .. أنا العقيد (أدهم صبرى) من المخابرات المصرية .

* * *

لم يكد (أدهم) ينتهى من ذكر اسمه ، حتى ندّت شهقة خافتة من أحد الرجلين اللّذين يجاوران (موناسا) ، وعقد (أدهم) حاجبيه وهو يحاول تبيُّن أيهما مصدر الشّهقة ، إلّا أن (موناسا) نهض يصافحه ، قائلًا :

— مرحبًا لمقدمك أيها المصرىّ ، تقبّل أسفى لمصرع زميلك السابق .

أجابه (أدهم) وهو يواصل تفرُّس ملامح الرجلين الآخرين :

— لقد كان يؤدى واجبه يا سيّد (موناسا) .

تطلّع (موناسا) فى تساؤل إلى (منى) ، فقدّمها (أدهم) إليه قائلًا :

— زميلتى النقيب (منى توفيق) ، من المخابرات المصرية أيضًا .

صافحها (موناسا) ، وهو يقول فى لهجة مهذّبة :

— مرحبًا بك فى (كيب تاون) يا سيّدتى .

ثم أشار إلى زميليه ، قائلًا :

— هذان (كوانا) و (بتسوى) ، زميلاىَ فى مجلس قيادة (الأُسُود السُود) .

تصافح الجميع ، ثم قال (أدهم) وهو يتّخذ مقعده إلى جوار (منى) حول المائدة المستديرة :

— ما معلوماتك عن حادث مصرع الوطنيّين يا سيّد (موناسا) ؟

صمت (موناسا) قليلًا ، ثم قال :

— لا شىء تقريبًا يا سيّد (أدهم) ، لقد كانوا أعضاء فى منظمتنا ، وتم العثور عليهم قتلى إلى جوار السفارة المصرية ، وأنا واثق أنها محاولة لزرع روح الكراهية نحو (مصر) ، ولكننى واثق أنهم لقوا حتفهم على يد منظمة (الذّئب الأبيض) ، وأنت تعلم علاقة زعيمها (أدولف حونين) بالـ(موساد) .

سأله (أدهم) :

— أهذا رأى الوطنيّين هنا ؟

مطَّ (موناسا) شفتيه الغليظتين ، وهو يقول :

ــ إنهم متردِّدون ما بين اتهام (مصر) ، أو الشك فى ذلك يا سيِّد (أدهم) .. ولن يحسم هذا التردُّد سوى كشف الأمر على نحو واضح .

غمغم (كوانا) فى سخط :

ــ كيف تكشف أسرارنا أمام رجل أبيض ، لمجرَّد أنه متنكِّر فى هيئة زنجى يا (موناسا) .

تألَّقت عينا (أدهم) فى الضوء الخافت ، وهو يتأمَّل وجه (كوانا) ، على حين التفت إليه (موناسا) ، قائلًا فى غضب :

ــ كيف تحارب العنصرية وأنت تفكِّر بهذا الأسلوب يا (كوانا) ؟.. إن لون بشرة السيِّد (أدهم) لا يعنينى كثيرًا ، فنحن لا نحارب البيض لمجرَّد لون بشرتهم ، ولكننا نحارب فى سبيل نيل حريتنا ودولتنا ، والمحارب من أجل الحق يصاب دائمًا بعمى الألوان يا (كوانا) ، ولكنه يمتلك حاسة قوية للتمييز بين الخير والشر .

غمغم (كوانا) بعبارة ساخطة ، على حين انبرى (بتسوى) قائلًا :

ــ أنت على حق يا (موناسا) ، وأنا أثق فيمن تثق بهم .

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ــ سأعاونكم فى تدمير منظمة (الذِّئب الأبيض) يا (موناسا) ، وليس هذا من أجل لونها ، ولكن لأننى أميل دائمًا إلى معاداة كل من يحاول المساس بوطنى (مصر) .. سأتحدَّث إليك أوَّلًا حديثًا سريًّا منفردًا ، ثم أنصرف أنا وزميلتى لبدء الصراع .

تطلَّع إليه (موناسا) فى دهشة ، ثم غمغم فى صوت خافت :

ــ كما تشاء يا سيِّد (أدهم) .. كما تشاء .

* * *

ظلَّت (منى) صامتة ، و (أدهم) يقود سيارته إلى قلب (كيب تاون) ، ثم اندفعت فجأة تسأله فى فضول :

ــ بمَ همست إلى (موناسا) قبل أن ننصرف ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ــ طلبت منه أن يأخذ الحذر من (كوانا) يا عزيزتى .

سألته فى دهشة :

ــ ولِمَ (كوانا) بالذات ؟

أجابها فى هدوء :

ــ لأنه الجاسوس الذى يعمل لحساب (الذِّئاب البيض) فى منظمة (الأسُود السُّود) .

اتسعت عيناها دهشةً ، وهى تهتف :

ــ كيف عرفت ؟.. إن المقدم (عبد الفتاح) (رحمه الله) ، لم يشر إلى شخصية الجاسوس بكلمة واحدة و ....

قاطعها (أدهم) وهو يتطلَّع إلى مرآة السيارة ، قائلًا فى صوت تلُوح فيه نبرة السخرية :

ــ سأخبرك يا عزيزتى ، بعد أن أنتهى من هؤلاء الأوغاد الذين يتبعوننا منذ عشر دقائق .

ألقت (منى) نظرة على مرآة السيارة ، وهتفت :

ــ يا إلهى !! كيف كشفوا أمرنا بهذه السرعة ؟

أجابها فى هدوء :

ــ يبدو أن (كوانا) يقوم بعمله على أكمل وجه يا عزيزتى .

ثم ضغط بقدمه دوَّاسة سيارته فى قوة ، وهو ينحرف بها إلى جانب الطريق ، قائلًا فى سخرية :

ــ إننى أعِدُّ مفاجأة لهؤلاء الذِّئاب البيض .

* * *



٤ — ذئب الذّئاب ..

ضغط قائد سيارة الذّئاب على دوّاسة سيارته فى قوة ، وهو يسبّ ساخطًا ، ثم هتف فى غضب وحنق :

— ماذا يفعل هذا الزّنجى الغبىّ ؟

تطلّع أحد زملائه الأربعة إلى (أدهم) وهو يغادر سيارته ، ويتّجه نحوهم فى هدوء وقال :

— لست أدرى ماذا يريد بالضبط ، ولكن تذكّر أن رجلنا قد حذّرنا منه مشدّدًا .

قال رجل آخر وهو يراقب (أدهم) ، الذى اقترب منهم فى ملامحه الزّنجية التنكّرية :

— ربما ينشد المساعدة ، فقد أوقف سيارته بشكل فجائى .

كان (أدهم) قد وصل إليهم فى تلك اللحظة ، وانحنى يتطلّع إليهم من نافذة السيارة فى سخرية ، وقال :

— أأنتم خمسة رجال فقط ؟

سأله قائد السيارة فى خشونة :

— ماذا تريد أيها الزّنجى ؟

أجابه (أدهم) فى لهجة استفزازية ساخرة :

— لا عليك يا صديقى .. أردت فقط رؤية عضلاتكم المنفوخة ، فقد تراهنت مع صديقتى أننى أستطيع تفريغها بدبوس صغير .

ظهر غضب جنونى على وجوه الذّئاب الخمسة ، وهم يندفعون خارج السيارة ، وامتدت أيديهم بصورة غريزية إلى مسدساتهم المدسوسة خلف ستراتهم ، وصرخ زعيمهم غاضبًا :

— ستندم على كل حرف تفوّهت به أيها الزّنجى .

* * *

ليس هناك من شك فى أن اللحظات التالية تحمل الكثير من الندم ، ولكنه لم يكن من نصيب (أدهم صبرى) ، فلم يكد زعيم الأوغاد الخمسة ينتهى من نطق

كلماته الغاضبة ، حتى انفجر (أدهم) وسطهم كالإعصار ، واندفعت قبضته اليمنى تهشّم فكّ أولهم ، واليسرى تحطّم أنف الثانى ، وانطلقت قدمه اليسرى فى الوقت نفسه تركل مسدس الثالث ، على حين دارت قدمه اليمنى فى الهواء كالمروحة ، وكسرت أنف الرجل نفسه .

تراجع الرجلان الباقيان فى ذهول ، وتصلّبت أيديهما فوق مقبض مسدسيهما ، وقبل أن يستردا إحساسهما بالموقف ، هوت قبضة (أدهم) على رقبة أحدهما ، على حين غاصت قدمه فى معدة الثانى ، واندفعت قبضته اليسرى تنهى القتال بلكمة ساحقة فى فكّه ...

تسمّر المارّة فى ذهول ، وهم يتطلّعون إلى ذلك القتال الشيطانى العجيب بين الذّئاب الخمسة وملك الذّئاب فى العالم أجمع ، وانطلق أحد رجال الشرطة نحو المتقاتلين فى غضب ..

لَمْ يغضبه أن الرجال الخمسة كانوا يحملون مسدسات غير مرخصة ..

ولَمْ يغضبه نشوب قتال عنيف وسط أحد شوارع (كيب تاون) الرئيسية ..

ولَمْ يغضبه تجاهل المتقاتلين وجوده ، وإهمالهم للزّى الرسمى الذى يرتديه ..

وإنما أغضبه أن يجرؤ زنجى على مقاتلة خمسة من البيض ، وأن تصل وقاحته إلى حدّ هزيمتهم ، وتحطيم أنوفهم أمام جمع من الزنوج والبيض ، كان هذا فى رأيه يمثل إهانة بالغة للجنس الأبيض ، ينبغى الرد عليها بتلقين الزّنجى درسًا قاسيًا أمام الجميع ..

لم يكد الشُّرطى يصل إلى ساحة القتال ، حتى كان القتال قد انتهى ، ولم يعد فى الساحة سوى (أدهم) ينفض غبارًا وهميًا عن سترته البيضاء ، وصرخ الشرطى فى وجهه غاضبًا :

— كيف تجرؤ أيها الزّنجى القذ .... ؟

لم يجد الشرطى المسكين ما يكفى من الوقت لإتمام عبارته ، فلم يكد يرفع عصاه استعدادًا لضرب (أدهم) حتى حطَّم (أدهم) أسنانه بلكمة كالقنبلة ..

ترنَّح الجندىّ وهو ينظر إلى (أدهم) فى ذهول ، ولكن (أدهم) عاجله بلكمة أخرى هشَّمت أنفه ، وسقط الشرطى على الأرض ، بين قدمَىْ (أدهم صبرى) ، الذى تحرَّك نحو سيارته ، ودلف إليها فى هدوء ، وأدار محرِّكاتها ، فسألته (منى) فى دهشة :

— لِمَ ضربت الشرطى أيضًا ؟

أجابها فى هدوء وهو ينطلق بالسيارة :

— لقد سئمت هذا الأسلوب العنصرى السخيف . .

سألته فى غضب :

— وماذا سنفعل الآن ؟.. لقد فتحت جبهة قتال جديدة بمعاداتك للشرطة .

ابتسم وهو يقول :



فلم يكد يرفع عصاه استعدادًا لضرب (أدهم) حتى حطَّم (أدهم) أسنانه بلكمة كالقنبلة ..

— لن يحدث شىء يا عزيزتى .

صاحت فى حنق :

— ماذا تعنى بأنه لن يحدث شىء ، سيحصلون على رقم السيارة ويبحثون عن ....

قاطعها (أدهم) ، وهو يقول فى سخرية :

— عن اثنين من الزنوج يا عزيزتى .

اتسعت عيناها دهشة وهى تغمغم :

— هل تعنى ؟..

أجابها فى هدوء :

— نعم ياعزيزتى .. سنلعب منذ الآن بوجوه مكشوفة .

* * *

أسدلت (منى) شعرها الأسود الناعم على كتفيها ، وهى تتطلَّع فى سعادة إلى بشرتها البيضاء وحانت منها التفاتة إلى (أدهم) ، الذى انتهى من إزالة تنكُّره ، وسألته :

— ألا تشعر أنك أكثر وسامة هكذا ؟

تطلَّع إليها صامتًا بضع لحظات ، ثم سألها فى هدوء :

— أتضيقين بالبشرة السَّوداء يا (منى) ؟

هزَّت كتفيها وهى تقول :

— مطلقًا ، ولكننى أضيق بتغيير ملامحى .. فلو أننى ولدت زنجية لسئمت التطلُّع إلى وجهى إذا ماتنكَّرت فى هيئة امرأة بيضاء ، إنها مسألة ألفة ليس إلَّا .

ابتسم وهو يعقد رباط عنقه ، وتشاغلت هى بالتطلُّع إلى المكان ، ثم قالت :

— من الطريف أن مخابراتنا لا تنسى أن تضع أكثر من منزل آمن ، فى كل مهمة نضطلع بها خارج مصر (*) .

(*) المنزل الآمن : هو مصطلح يستخدم فى عالم المخابرات لتعريف مكان بعيد عن المراقبة ، ومعدّ مسبقًا لإقامة رجل المخابرات فى أثناء مهامه الخارجية .

أجابها فى هدوء :

ـ هذه واحدة من القواعد الأساسية فى عالم المخابرات يا عزيزتى .

تأمّلته لحظة وهو يرتدى سترته ، ثم سألته فى فضول :

ـ إنك لم تخبرنى بعد عن كيفية توصُّلك إلى كون (كوانا) هو الجاسوس المنشود .

ابتسم وهو يجيبها ، قائلاً :

ـ لاريب أنك سمعت تلك الشهقة الخافتة التى انطلقت من فم أحد الرجلين المصاحبين لـ (موناسا) حينما ذكرت اسمى يا عزيزتى .

أومأت برأسها إيجابًا ، فتابع قائلاً :

ـ لقد نبّهنى ذلك إلى أن أحد الرجلين يعرفنى جيّدًا ، ومن المستحيل أن يحدث هذا إلّا إذا كان ينتمى لمخابراتنا ، أو إلى (الموساد) .

قالت (منى) ، وقد عقدت حاجبيها فى تفكير عميق :

ـ لقد تنبهت إلى ذلك أنا أيضًا ، ولكننى لم أستطع ـ مع الإضاءة الخافتة ـ معرفة أيهما صاحب الشهقة .

رفع (أدهم) سبّابته أمام وجهه ، قائلاً :

ـ أنا أيضًا لم أستطع ذلك ، حتى قال (كوانا) إنه يرفض التعامل مع رجل أبيض .. وهنا علمت أنه قد كشف نفسه دون أن يدرى ، فمهما بلغ سوء تنكُّرنا لم يكن بإمكانه تبيُّن ذلك فى الضوء الخافت ، ولمّا كان أحدهم لم يسبق له مقابلتنا بالفعل ، فلم يكن من الطبيعى أن يعلم أننا لسنا زنجيّين أصليّين ، إذ أنه من الجائز أن ترسل المخابرات المصرية زنجيّين بالفعل ، لم يكن بإمكانه معرفة ذلك إلّا إذا كان يعرف أن (أدهم صبرى) ـ الذى يحفظ جميع عملاء (الموساد) أبيض البشرة وليس زنجيًا كما يبدو .

غمغمت (منى) :

ـ يا إلهى !! هذا صحيح .

ثم صاحت فى حماسة :

ـ لابدّ أن نكشف القناع عنه .

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ـ سنفعل يا عزيزتى ، ولكن بعد أن نُوقع (الذّئاب البيض) عن آخرهم .

سألته :

ـ وكيف يكون ذلك ؟

أجابها وهو يبتسم فى سخرية :

ـ كما أخبرتك من قبل يا عزيزتى .. سنلعب بوجوه مكشوفة ، وسنقضى سهرتنا الليلة فى الملهى نفسه الذى يهواه (أدولف حونين) ، وسندفعه هو إلى اللهاث خلفنا .

غمغمت فى قلق :

ـ تقصد أننا سنتحوّل فى المساء إلى طريدة تسعى خلفها منظمة (الذّئاب البيض) ؟

* * *

٥ ـ لقاء الذّئاب ..

نفث (أدولف حونين) دخان سيجاره الفخم ، وظهرت الشراهة فى عينيه وهو يتطلّع إلى كمية اللحوم الموضوعة أمامه ، ثم مدّ يده ينتزع قطعة من اللحم ، ويلقى بها فى فمه بشكل بدائىّ مقزّز ، وأخذ يتابع برنامج الملهى فى تراخ ، وهو يتلفّت حوله فى بطء شأن من اعتاد الخطر والحذر ، وجلس إلى جواره معاونه الأول (ساندر) يدخّن سيجارته بدوره ، ويراقب زعيمه فى بلادة ..

وفجأة .. اتسعت عينا (أدولف) ، وظهر الرُّعب فى ملامحه ، وهو يقبض على ذراع (ساندر) فى قوة ، وغُص حلقه بقطعة اللحم الضخمة التى كان يهم بابتلاعها ، فأخذ يسعل فى قوة حتى ضربه (ساندر) على ظهره بقبضته ، ثم ناوله كوبًا من البيرة جرعه

(أدولف) دفعة واحدة ، واحتقن وجهه وهو يقول فى صوت متحشرج :

ـ يا لجرأة هذا الرجل .. إنه يتحدّانا علانيةً .

عقد (ساندر) حاجبيه وهو يسأله :

ـ أى رجل يا زعيمى ؟

أشار (أدولف) إلى مدخل الملهى ، وهو يغمغم فى لهجة ساخطة :

ـ ذلك الذى يقف هناك مع تلك الحسناء .

نقل (ساندر) بصره إلى حيث أشار رئيسه ، ولم تلبث الدهشة أن ارتسمت على ملامحه بدوره ، حينما رأى (أدهم صبرى) ، الذى بدا بالغ الوسامة فى حُلَّة السهرة السَّوداء ، وإلى جواره (منى) التى ترفل فى ثوب أبيض أنيق ، وغمغم (ساندر) فى دهشة :

ـ إنه ذلك الشيطان المصرى الذى ....

قاطعه (أدولف) ، قائلًا فى حنق :

ـ صَهْ أيها الغبىّ ، هل تريد إعلان ذلك للجميع ؟

همس (ساندر) ، وهو يواصل التحديق فى وجه (أدهم) :

ـ لماذا جاء إلى هنا ؟

قال (أدولف) فى لهجة ساخطة :

ـ من أجلنا ولا شكّ أيها الأحمق .

غمغم (ساندر) فى لهجة فزعة :

ـ إنه يتقدّم نحونا .. هل أطلق عليه النار يا زعيمى ؟

أجابه (أدولف) ، وهو يحاول ضبط أعصابه :

ـ ليس أمام الجميع أيها الغبىّ .

وبرغم إجابة (أدولف) ، إلّا أن قبضة (ساندر) توتّرت فوق مقبض مسدسه ، حينما وقف (أدهم) و (منى) أمام مائدة (أدولف) تمامًا ، وقبل أن يفتح هذا الأخير فمه ، بادره (أدهم) قائلًا فى سخرية :

ـ مرحبًا يا زعيم الأوغاد البيض .

ظهر الغضب على وجه (أدولف) وهَمَّ بالتعقيب ، إلّا أن (أدهم) و (منى) اتخذا مجلسيهما على نفس

المائـــدة ، وعلى نحو مبـــاغت بينما حوّل غضب (أدولف) إلى دهشة عارمة ، وهو يقول :

ـ إننى لمْ أدعكما !!

أجابته (منى) فى برود :

ـ لا عليك .. إننا لسنا فى حاجة لذلك .

ازدرد (أدولف) لعابه فى توتُّر ، وقال :

ـ ماذا تريد منّى يا سيِّد (أد ...) .. أقصد أيها السيِّد ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يجيبه قائلًا :

ـ دَعْ محاوراتك لما بعد يا (أدولف جونين) .

تظاهر (أدولف) بالحَيْرة ، وهو يقول :

ـ يبدو أنك أخطأت يا سيِّدى ، فأنا لست ....

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

ـ قلت لك أن تضع أحمالك أيها الوغد ، فأنا أعلم أنك ذلك الوغد من (الموساد) ، وأنت تعلم أننى (أدهم صبرى) من المخابرات المصرية .

حدّق (أدولف) فى وجه (أدهم) فى ذهول ، على حين تجاهل (ساندر) أوامر قائده عند هذا الحدّ من المصارحة ، ومدّ يده يحاول انتزاع مسدسه من جيب سرواله ، إلّا أنه سمع صوت إبرة مسدس تسحب إلى الخلف استعدادًا للإطلاق ، فشحب وجهه وهو يتطلّع إلى يدى (أدهم) فوق المنضدة ، ولكنه سمع (منى) تقول :

ـ إنه أنا أيها الوغد ، وسأمزّق أحشاءك برصاصة مباشرة ، ما لم تدعْنى أرى كفَّيك فوق المائدة طوال الوقت .

رفع (ساندر) كفَّيه إلى ما فوق المائدة فى جزع ، وتخيَّل يد (منى) التى تصوب إليه المسدس من تحت المائدة ، فلزم الصمت التامّ ، على حين قال (أدولف) لـ (أدهم) :

ـ حسنًا يا مستر (أدهم) .. سنتحدَّث بمنتهى الوضوح ، ما دمت ترغب فى ذلك .. ماذا تريد ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء وهو يحدجه بنظراته الساخرة :

ــ إنه ليس طلبًا أيها الوغد .. إنه أمر .. أريد منك أن توقف عملية (الذئاب البيض) ، وتعود فورًا إلى موطنك ، وإلا سحقتك ومنظمتك كحشرات حقيرة .

لو أن (أدولف جونين) سمع هذا القول من رجل آخر ، لأطلق النار عليه فى غمرة الغضب ، ولكن لأنه يعلم جيدًا طبيعة محدّثه ، ومدى مايتمتع به من قوة وجرأة ، فقد شحب وجهه إلى مايقرب من الموت ، وغمغم فى صوت شاحب :

ــ ولكنك تعلم أن ما تطلبه يعدُّ مستحيلاً فى مثل مهمتنا يا مستر (أدهم) .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وقال :

ــ لن أفرض عليك وسيلة معينة يا مستر (أدولف) ، يمكنك أن تدعّى المرض ، أو كبر السّن ، أو حتى الإصابة بالبواسير بسبب الجوّ الحارّ ، المهم أن تغادر هذا البلد قبل صباح الغد .

ثم انحنى (أدهم) فى هدوء نحو (ساندر) ، ولم يلبث أن نهض وهو يدس مسدس هذا الأخير فى سترته ، ويقول :

ــ هل سمعتنى يا مستر (أدولف) ؟.. قبل صباح الغد .

ابتعد (أدهم) و (منى) فى هدوء حتى غادرا الملهى ، وهنا صاح (أدولف) وهو يعض شفتيه غيظًا :

ــ لن تفلت منى هذه المرة أيها الشيطان المصرى .. أنا الذى سأسحقك .

* * *

انطلق (أدهم) بسيارته صامتًا فترة طويلة ، ثم قال فى هدوء :

ــ هل تريدين تفسيرًا لما فعلت يا عزيزتى ؟

أجابته فى هدوء مماثل :

ــ لا عليك .. لقد اعتدت ذلك ، حتى أننى لم أتوقّف عن مراقبة تلك السيارة السوداء التى تتبعنا منذ غادرنا الملهى ..

ضحك (أدهم) وهو يقول :

ــ لقد تحوّلتِ إلى محترفة حقيقية يا عزيزتى .

سألته دون أن تعلّق على عبارته :

ــ ماذا تتوقّع أن يفعلوا ؟

أجابها فى هدوء :

ــ سيكتفون بتتبعنا لمعرفة أين نقيم ، ثم يعد (جونين) خُطّة مناسبة و ....

وقبل ان يتم عبارته ، اخترقت رصاصة زجاج السيارة الخلفى ، ومرقت منه محطّمة الزجاج الأمامى ، وفتحت (منى) فمها مشدوهة ، على حين ضاعف (أدهم) من سرعة سيارته بالضغط على دوّاسة الوقود ، قائلاً فى سخرية :

ــ تعدّلت الخُطّة يا عزيزتى .. إنهم ينوُون قتلنا مباشرةً .

* * *



٦ ــ مطاردة حتى الموت ..

انطلقت سيارة (أدهم) تشقُّ شوارع (كيب تاون) الخالية ، فى الثانية بعد منتصف الليل ، وخلفها اندفعت سيارة سوداء ، تحمل ثلاثة من الرجال ضخام الجثة ، وفى يد كل منهم مسدس ضخم ، يحاولون اللّحاق بسيارة (أدهم) ، حتى تقع فى مرمى نيرانهم ، ولكن (أدهم صبرى) لم يكن بالرجل الذى تسهل هزيمته ، وشاهدت شوارع (كيب تاون) أعظم استعراض لمهارات القيادة ، وامتلأت قلوب الذّئاب البيض بالدهشة والحنق ، وهم يحاولون تتبُّع ذلك الشيطان ، الذى ظل يراوغهم فى مهارة مذهلة ، برغم أن سيارته أضعف كثيرًا من سيارتهم ، وبرغم أن قائد سيارتهم بطل سباق سابق .. ولكن يبدو أنه حتى المحرّكات تخضع للأقوياء ، فقد استجابت سيارة

(أدهم) للسرعة الفائقة التى انطلق بها ، برغم أنها تتجاوز سرعتها وهى جديدة ، وخضعت عجلاتها للمناورات المعقّدة التى يقوم بها قائدها ، واستسلمت عجلة القيادة لقبضتى (أدهم) فى خنوع ، وطالت المطاردة ..

تسرَّب القلق إلى قلوب الذّئاب الثلاثة ، فانطلقت رصاصاتهم عشوائيًّا من فوّهات مسدساتهم الكاتمة للصوت نحو سيارة (أدهم) ، وشعر (أدهم) و (منى) بالرصاصات تخترق حقيبة السيارة من الخلف ، وانحرف (أدهم) بحركة حادّة ، محاولاً تضليل المطاردين ، ولكنه فوجئ أمامه بعربة صغيرة تعترض نصف المنعطف الذى دار حوله فى سرعة خرافية ..

ضغط (أدهم) دوّاسة إيقاف السيارة ، وحاول أن ينحرف بها إلى اليسار ، ولكن عوامل شتى وقفت تعترض ذلك .. السرعة الفائقة ، والانحراف المفاجئ ، وضيق الطريق ، ولم يكن هناك بُدٌّ من التصادم ..

* * *

لو أن مخرجًا من مخرجى أفلام الحركة الأمريكية وقف يشاهد ماحدث ، لقفز صارخًا من شدة الانفعال ، ولبحث فى جيوبه فى حماسة عن عقد يوقّعه مع (أدهم صبرى) ، ليقوم ببطولة أكثر أفلامه إثارةً وقوّة ، ولاتسعت ابتسامته وهو يربّت على العقد ، مطمئنًّا إلى أنه سيربح من مشاهدى الفيلم ما يكفل له العيش الرغد مدى الحياة ..

فقد ارتطمت سيارة (أدهم) بمقدمة السيارة الصغيرة ، وقفزت فى الهواء ما يزيد على عشرة أمتار فى إطار مذهل مخيف ، ثم هبطت كطائرة حربية صغيرة ، وارتطمت عجلاتها بالأرض ، ثم عادت تقفز ثلاثة أمتار أخرى ، وسقطت على عجلاتها كما لو كانت تخشى مخالفة رغبة قائدها ، ودارت حول نفسها ثلاث دورات كاملة ، قبل أن يصمت هدير محرّكها ، وتقبع ساكنة ومقدمتها تواجه بداية الطريق ، فى نفس اللحظة التى توقّفت فيها السيارة الأخرى ، وقفز منها الذّئاب الثلاثة ،

ومسدساتهم مُشْهرة ، مستعدة لقتل (أدهم صبرى) وزميلته ..

وقبل أن يصل الذّئاب الثلاثة إلى سيارة (أدهم) ، قفز هو خارجها والدماء تسيل من جرح فى جبهته ، ويداه خاليتان من السلاح ، وارتفعت فوّهات المسدسات الثلاثة نحوه ، واندفعت أصابع الأوغاد نحو الزّناد .. ولكن (أدهم) قفز فجأة فى الهواء ، وبدت قفزته أكثر إثارة للذهول من قفزة سيارته ، وقبل أن ترتفع عيون الذّئاب الثلاثة إلى موقعه الجديد ، تلقى أولهم ركلة حطّمت أنفه ، وفقد الثانى وعيه إثر ثانية هشمت ترقوته ، وقبل أن يفهم الثالث ما أصاب رفيقه ، تهشّم أنفه وفمه بثلاث لكمات ، تعاقبت على وجهه كالصاروخ ، وسقط الرجل ، وانتهت المعركة ، لتبدأ معركة جديدة عندما ارتفع صوت سيارة شرطة تقترب ، فغمغم (أدهم) فى ضيق :

— يا إلهى !! لن أخسر عمرى كله فى محاولة تبرير ماحدث لرجال الشرطة .

وحانت منه التفاتة إلى حيث فقدت (منى) وعيها داخل السيارة ، واستطرد :

— يبدو أنه لا مفرَّ من مواصلة الهرب .

* * *

وقف رجل الشرطة يحكّ رأسه وهو يتطلّع فى دهشة إلى السيارة التى تهشّمت مقدمتها ، والرجال الثلاثة الذين تناثروا حولها فاقدى الوعى ، ثم عاد إلى رجل عجوز يقف إلى جواره ، ويسأله :

— هل لك أن تعيد على مسامعى مرة ثانية ما رأيته يا مستر (جورج) ؟

ازدرد العجوز لعابه ، وكأنما يغلبه الانفعال ، ثم أشار إلى نافذة صغيرة فى الطابق الثانى من أحد أبنية الشارع ، وهو يقول :

— لقد كنت أجلس فى نافذة منزلى ، بعد أن جافانى

النوم هذه الليلة ، وشاهدت تلك السيارة الصفراء تندفع داخل الشارع فى سرعة مذهلة ، ولا ريب أن قائدها قد فوجئ بالسيارة الصغيرة فى مدخل الشارع ، فقد حاول تفاديها فى مهارة ، ولكنه فى النهاية ارتطم بها و .. و ....

وغلبه الانفعال ، حتى أنه أخذ يلوّح بيديه واصفًا الحادث دون أن يتحدّث ، فقال الشرطى فى ضجر :

— حسنًا .. حسنًا .. لقد قفز حتى تجاوز نافذتك ، كما يحدث فى الأفلام الأمريكية ، ثم استقر ثانية على الأرض .. لقد سمعت هذه القصة ، ولكنك لم تخبرنى كيف وصل هؤلاء الرجال الثلاثة إلى هنا ، وكيف حطّمهم رجل واحد هكذا .

مضى العجوز يشرح فى حماس كيف قفز (أدهم) من سيارته ، وطار فى الهواء ، منقضًّا على الرجال الثلاثة ، وأخذ يبالغ فى وصف القتال بأطرافه ، حتى أوقفه الشرطى قائلًا :

— أين ذهب بعد ذلك أيها العجوز ؟

أشار العجوز بسبّابته إلى سيارة (أدهم) ، وقال :

— لقد رأيته يخرج فتاة حسناء فاقدة الوعى من السيارة ، وحملها بين ذراعيه ، ثم انطلق يعدُو بها مبتعدًا .

مطَّ الشرطى شفتيه بشكل ينمّ عن عدم تصديقه لحرف واحد مما ينطق به العجوز ، وقال فى لهجة من يحادث طفلًا :

— إذن فقد قفز بالسيارة ، وهبط بها بكل مهارة ، ثم اشترك فى قتال عنيف مع ثلاثة من العمالقة ، وهزمهم فى بساطة ، ووجد فى نفسه القوة بعد ذلك أن يحمل الفتاة ، ويعدُو بها مبتعدًا .. أليس كذلك ؟

أجابه العجوز فى حماس :

— هذا ما حدث بالفعل .

ربّت الشرطى على كتف العجوز ، قائلًا :

— شكرًا يا سيِّد (جورج) .. لقد أفدتنا كثيرًا .

انصرف العجوز وهو يشعر بالفخر على حين انحنى أحد رجال الشرطة على أذن الشرطى الأول وهمس :

— ما رأيك فيما قاله ؟

هزَّ الشرطى كتفيه وقال :

— لا يمكننى تصديق كلمة واحدة بالطبع .. أراهنك أنها معركة بين فريقين قويَّين .

ثم أشار إلى الرجال الثلاثة ، الذين بدأ نقلهم إلى عربة الإسعاف ، وأردف :

— هل تصدِّق أن رجلًا واحدًا يمكنه أداء كل هذا؟!.. إن ذلك مستحيل ياصديقى ... مستحيل ..

* * *

شعرت (منى) بصداع شديد حينما استعادت وعيها ، وفتحت عينيها فى صعوبة ، وسألته :

— ماذا حدث ؟.. هل تحطَّمنا ؟

ابتسم وهو يقول :

ـــ حمدًا لله على سلامتك ياعزيزتى .

تلفتَّت حولها تتطلَّع إلى المنزل ، وهى تقول فى دهشة :

ـــ يا إلهى !! كيف نجونا ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ لقد أراد لنا الله (سبحانه وتعالى) أن نواصل القتال يا عزيزتى .

سألته وهى تتحسَّس مواضع الألم فى جسدها :

ـــ ماذا سنفعل الآن بعد الأسلوب العدوانى الذى واجهنا به (أدولف) ؟

سحب (أدهم) مسدسه ، وأخذ يحشو خزانته بالرصاص فى صمت ، ثم قال فى هدوء ينذر بالثورة فى داخله :

ـــ لقد حذَّرت ذلك الوغد ، ولكنه رفض الاستماع لما أقول يا عزيزتى .

بدأ القلق يعبث بأعصابها ، وهى تسأله :

ـــ ماذا تعنى بهذا القول ؟

قال فى هدوء وكأنه يتحاشى إجابتها :

ـــ أعتقد أنك تحتاجين لبعض الراحة يا عزيزتى ، ستبقين هنا حتى أعود .

سألته فى حِدَّة :

ـــ ماذا تنوى أن تفعل يا (أدهم) ؟

ابتسم ابتسامة مقتضبة ، وهو يقول :

ـــ هل نسيت فارق الرُّتب أيها النقيب ؟

زوَت ما بين حاجبيها فى غضب ، وسألته فى لهجة أقرب إلى التوسُّل :

ـــ أين ستذهب وحدك ؟

أعاد خزانة المسدس إليه ، ورفع صمام الأمان فى هدوء ، ثم تطلَّع إليها فى ملامح جامدة تنذر بالخطر ، وهو يقول فى هدوء مخيف :

ـــ سأذهب لزيارة ذلك الوغد فى مقره وسط الأحراش يا (منى) ، سأحطِّم وكر الذئاب البيض فوق رءوسهم جميعًا .

* * *



٧ ـــ تحت ضوء القمر ..

انقشعت الغيوم عن قمر كامل الاستدارة ، يلقى ضوءه على أحراش ذلك الجزء المنعزل خارج (كيب تاون)، واختفى (أدهم صبرى) خلف شجرة ضخمة ، يراقب بمنظاره المقرَّب تلك الفيلا التى أقامها (أدولف حونين) وسط الأحراش ..

كانت الفيلاَّ تبدو واضحة تحت ضوء القمر ، وهى تتكوَّن من طابقين ، تزيِّن العلوىّ منهما شرفة واسعة ، تحوى بعض المقاعد الخيزرانية المتناثرة ، ومنضدة صغيرة ، اصطفت فوقها الكئوس ، وزجاجات الخمر ، وأمامها جلس (أدولف) بجسده الضخم ، وإلى جواره (ساندر) ، يجرعان الخمر ، ويلتهمان بعض اللحوم المشويَّة ، وهبط (أدهم) بمنظاره إلى أسفل ، ليرصد ثلاثة رجال ضخام الجثة ، يحومون حول الفيلاَّ لحراستها



وأختفى (أدهم صبرى) خلف شجرة ضخمة ، يراقب بمنظاره المقرّب تلك الڤيلا التى أقامها (أدولف حوتين) ..

فى الليل .. وعاد (أدهم) يرتفع بمنظاره إلى الشرفة ، وداعب عدسات المنظار لتقترب الصورة من وجهى (أدولف) و (ساندر) ، وضاقت عيناه وهو يرقبهما فى إمعان ..

وهناك كان (أدولف) يقول فى حِدَّة :

ـــ كان ينبغى أن ينسفوا سيارته نسفًا ، هكذا يكون التعامل مع من هم على شاكلة ذلك الشيطان المصرى .

أجابه (ساندر) فى غضب :

ـــ إن مراقبنا يدَّعى أنه لم يمهلهم من الوقت ما ....

قاطعه (أدولف) فى غضب هادر :

ـــ لقد كانوا يعلمون أنه يتحرَّك فى سرعة ، إنهم ليسوا هواة .

ثم نهض من مقعده ، وأخذ يلوِّح بذراعيه وهو يتجه إلى حاجز الشرفة ، مستطردًا :

ـــ لقد فشلوا ؛ لأنهم تعاملوا معه كخصم عادىّ ،

لقد ظنوا أنهم ذئاب ، ولم يقدروا الرجل حقَّ قدره ، إنه ذئب حقيقى ، ذئب ترتجف أمامه الذئاب و ....

وفجأة .. بتر (أدولف) عبارته ، والتقى حاجباه فى دهشة وتساؤل .. ولمَّا كان (سانــــدر) لم يَرَ ما أصاب وجه زعيمه من تبدُّل ، فقد قال يستحثه على مواصلة الحديث :

ـــ أهو يمثل كل هذه الخطورة يا زعيمى ؟

استدار إليه (أدولف) فى هدوء ، وإن نمَّت ملامحه عن انفعال بالغ ، أثار دهشة (ساندر) ، الذى همَّ بالنهوض من مقعده وهو يهتف :

ـــ ماذا حدث أيها الزعيم ؟

لوَّح له (أدولف) بكفِّه خفية ، وقال فى حزم :

ـــ لا تتحرَّك أو تنطق بكلمة يا (ساندر) ، استمع إلىَّ فقط .

ظهرت الدهشة على ملامح (ساندر) ، ولكنه أطاع الأمر فى صمت ، واستمع إلى زعيمه وهو يواصل حديثه المنفعل ، قائلًا :

ـــ لقد وصل ذلك الشيطان المصرى إلى هنا .

تفجرَت دهشة بالغة على وجه (ساندر) ، وهمَّ بسؤال زعيمه ، إلَّا أنه تذكَّر أوامره ، فعاد يلوذ بالصمت ، على حين أردف (أدولف) قائلًا :

ـــ إنه يراقبنا فى هذه اللحظة من خلف إحدى الأشجار ، ولن يلبث كعادته أن يحاول اقتحام الڤيلَّا ، غير مبالٍ برجال الحراسة .

حانت من (ساندر) التفاتة تلقائية إلى حيث تمتد الأحراش أمام الڤيلَّا ، ثم غمغم بكلمات غير مفهومة ، فابتسم (أدولف) فى شراسة ، وهو يقول متابعًا :

ـــ لا ريْبَ أنك تحاول سؤالى عن كيفية معرفتى ذلك ، إنه ضوء القمر يا (ساندر) .

تململ (ساندر) فى مقعده دلالة على عدم اكتفائه بهذه الإجابة ، فاستطرد (أدولف) :

ـــ إنه يستخدم منظارًا مقرِّبًا ، ولقد انعكس ضوء القمر على عدسات منظاره ، فرأيته ، ولقد طلبت منك

الصمت ، وأوليته ظهرى خشية أن يكون باستطاعته قراءة حركات شفاهنا ، لقد كشفناه دون أن يدرى يا (ساندر) .

ثم ابتسم فى وحشية ، وهو يقول فى انفعال متزايد :

ـــ مُرْ رجالنا بالاستعداد لاقتناصه ، حيث سيحاول اقتحام الفيلَّا من الأمام ، دعهم يجتمعون كلهم فى الأمام ، وسأقتل من يبدى معرفته الأمر منهم ، لقد سقط الشيطان المصرى ، وسنجعلها سقطته الأخيرة .

* * *

مضت نصف ساعة كاملة كلت فيها عيون الذئاب ، وهم يراقبون ما يحيط بالفيلَّا من أحراش ، وبدأ الملل والشك يتسربان إلى نفوسهم ، والتقت نظراتهم فى ضيق ، فقد كانوا سبعة رجال ، استيقظ أربعة منهم لينضموا إلى رجال الحراسة الثلاثة ، وازدادت أعصابهم توتُّرًا مع مرور الوقت ، دون أن يحدث ما يثير

الانتباه ، وفى نفس الوقت نظر (أدولف) فى توتُّر إلى ساعته التى تشير إلى الثالثة والنصف صباحًا ، وقال فى حِدَّة موجِّهًا حديثه إلى (ساندر) :

ـــ لا يمكننى أن أكون مخطئًا ، لقد رأيت لمعان عدسات منظاره و ....

قاطعه (ساندر) ، وهو يقول فى تردُّد :

ـــ لعله أحد حيوانات الأحراش أو ....

صرخ (أدولف) فى وجهه :

ـــ الحيوانات لا تعكس ضوء القمر بهذا القدر أيها الغبىّ .

عقد (ساندر) حاجبيه فى غضب ، ولاذ بالصمت ، على حين واصل (أدولف) حديثه ، قائلًا فى عصبية :

ـــ إنه لم يضع خُطَّته بعد ولا شك ، أو أنه يحاول مفاجأتنا ، أو ....

أخذ يفكِّر فى احتمال ثالث ، وهو يتحرَّك فى أرجاء الشرفة بعصبية ، وتردَّد (ساندر) طويلًا وهو يراقب توتُّر زعيمه ، ثم قال :

ـــ ربما اكتفى بمراقبتنا فقط ، وانصرف .

توقَّف (أدولف) عن التحرُّك بغتة ، وقطَّب حاجبيه فى ضيق ، فقد بدا تفسير مساعده الذى طالما وصفه بالغباء منطقيًّا ، مقبولًا ، ولكن عناد (أدولف) أبى أن يعترف بصحة هذا الاحتمال الجديد ، فلوَّح بذراعه وهو يقول فى غضب :

ـــ هذا غير محتمل ، لعلَّه فقط يحاول كسب مزيد من الوقت .

سأله (ساندر) فى حَيْرة :

ـــ ولِمَ يفعل ذلك ، ما دام لا يعلم أننا ننتظره ؟

مرة أخرى خرج (ساندر) بتحليل منطقىّ ، واجتاح الغضب جسد (أدولف) ، فصرخ فى وجه معاونه :

ـــ اصمت يا (ساندر) ، إنك تمنعنى من التفكير المتزن .

وفجأة .. قفز (ساندر) من مقعده ، واتجهت يده فى صورة غريزية إلى جيب سرواله ، ولكنها تسمَّرت فجأة قبل أن تصل إلى هدفها ، وارتجف جسد (أدولف) الضخم فى مزيج عجيب من الذهول ، والخوف ، والغضب ، فقد ارتفع من مدخل الشرفة صوتٌ هادئ ساخر ، يقول صاحبه :

ـــ معذرة لأننى تركتكم تنتظرون طويلًا أيها الأوغاد ، ولكن هأنذا .

استدار (أدولف) فى حِدَّة ينظر إلى مصدر الصوت ، حيث تسمَّرت عينا (ساندر) المذهولتان ، وكاد ينفجر فى بكاء القهر والغيظ ، عندما وقع بصره على (أدهم صبرى)، الذى وقف هادئًا ، ساخرًا يصوِّب إليهما المسدس الذى انتزعه مسبقًا من

(ســـاندر) ، وكان (أدهـم) يقـول فى لهجـة تقطـر سخرية :

ـــ ماذا أصابك ؟.. هل أدهشتك رؤيتى يا وغد الأوغاد ؟

* * *



٨ ــ أحراش الموت ..

انهار (أدولف حونين) فوق أقرب المقاعد إليه ، وسال على وجهه عرق غزير ، وهو يغمغم فى حشرجة :

ـــ كيف .. كيف وصلت إلى هنا ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وقال :

ـــ لقد درت حول الڤيلَّا ، وتسلَّلت متستِّرًا بالأحراش ، ومن حسن الحظ أننى لَمْ أجد رجلًا واحدًا من رجالك عند الباب الخلفى .

ثم أردف فى سخرية ، وكأنه يلقن ذئب (الموساد) درسًا :

ـــ كان ينبغى أن تزيل تلك الأعشاب المرتفعة من حول الڤيلَّا أيها الوغد ، إنها عالية إلى درجة تسمح بتسلل قطيع من الأفيال فى وضح النهار ، دون أن ينتبه رجل حاد البصر .

جفَّف (أدولف) عرق الخوف براحته ، وغمغم فى شحوب :

ـــ هل كنت تعلم أننى أنتظرك ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ لقد كنت أراقبك وتابعك الوغد من خلال منظارى المقرِّب ، وكنت أحاول قراءة حركات شفاهكما ، حينما ظهر على وجهك انفعال عجيب ، واستدرت فجأة توليني ظهرك ، ثم ظهرت الدهشة على وجه معاونك ، وأخذ يختلس النظر إلى حيث أختبئ ، وكنت أنت تتحدَّث إليه فى انفعال شديد ، دون أن ينبس هو ببنت شفة ، وكان من السهل أن أستنتج أنك قد كشفت مراقبتى لك بوسيلة أو بأخرى .

عاد (أدولف) يجفِّف عرقه فى إحباط ، على حين واصل (أدهم) حديثه قائلًا :

ـــ ولقد أخطأت أنت بجمع رجالك كلهم لمواجهتى حيث رأيتنى ، وهذا خطأ تكتيكى خطير ،

فلقد مكَّننى ذلك من الدخول إلى الڤيلَّا فى هدوء وبساطة عبر الجانب الآخر ، واستخدمت معكم بعض ما تعلَّمناه من أساتذة التخطيط الحربى فى (مصر) ، فتركتكم تنتظرون طويلًا حتى يصل توتُّركم إلى ذروته ، وينتابكم الشك فيما ذهبتم إليه ، ثم باغتُّكم بشكل يكفل تحطيم البقية الباقية من أعصابكم .. إنها خُطَّة سهلة تكفى للإيقاع بفئران مثلكم .

شحب وجه (أدولف) ، وغمغم فى صوت متحشرج :

ـــ ماذا تريد يا مستر (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة ، وهدوء :

ـــ نفس ما طلبته منك فى الملهى الليلى أيها الوغد ، وسأضيف إلى ذلك اعترافًا مسجَّلًا بما اقترفته منظمتك الإجرامية فى حقِّ المصريين .

حاول (أدولف) استجماع شجاعته ، وهو يقول :

— لا تنس أنك تقف وسط أرضى يا مستر (أدهم) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية واستهتار ، وهو يقول :

— لا يمكن لرجالك أن يرونى من هذه الزاوية أيها الوغد ، ولو أنك حاولت تنبيههم إلى وجودى ، فسيسبق موتك ذلك .

ازدرد (أدولف) لعابه فى صعوبة ، وحاول أن يبدو قويًا وهو يقول :

— أنت لا تلجأ للقتل إلا نادرًا يا مستر (أدهم) ، هذا ما أخبرونا به فى دراساتنا عنك ، أنت خصم عجيب تتشبه بفرسان العصور الماضية ، ولن تقتل أبدًا رجلًا أعزل .

ابتسم (أدهم) ابتسامة باردة ، وهو يقول :

— ولكننى أستطيع تحطيم فكّ مثل هذا الرجل ، فى صراع متكافئ بالأيدى العارية أيها الوغد .

تلاشت محاولة (أدولف) للتظاهر بالشجاعة ، وعاد وجهه إلى شحوبه وهو يقول :

— إن ما تطلبه مستحيل يا مستر (أدهم) ، سيعدموننى لو أننى فعلت ذلك .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وهو يقول :

— وسأعدمك أنا لو لم تفعل أيها الوغد .

وفجأة .. وبدون سابق مقدمات ، استدار (أدولف) إلى حاجز الشرفة ، وصرخ فى مزيج من الرعب واليأس :

— إلىَّ يا رجال .. إنه هنا .

ولم يكد (أدولف) يفعل ذلك ، حتى انقض (ساندر) على (أدهم) ، محاولًا انتزاع مسدسه .

* * *

كانت مبادرة (أدولف) قد قلبت موازين القوة فجأة ، فلقد كان محقًا فى أن (أدهم) يبغض اللُّجوء إلى القتل ، وهو فى الوقت نفسه معرَّض لهجوم سبعة رجال مسلحين بالأسلحة النارية ، ومقاومة (ساندر)

و (أدولف) ، والعمل على نجاح مهمته فى الوقت نفسه ، لم يكن الغرور من صفات (أدهم) يومًا ، ولكنه كان يعلم جيِّدًا أنه أقوى رجال إدارة المخابرات المصرية ، وأن فشله فى هذه المهمة ربما يعنى أن توصم (مصر) بجريمة قتل الوطنيين الزنوج فى (جنوب إفريقيا) إلى الأبد ، لذا فقد وجد نفسه ملزمًا بتحقيق النصر ..

دفع هذا الشعور طاقة هائلة فى عروق (أدهم) ، ولم يكد (ساندر) ينقض عليه ، حتى بادره بلكمة ساحقة غاصت فى معدته ، وتأوَّه لها هذا الأخير فى ألم رهيب ، وقبل حتى أن تكتمل تأوُّهاته ، كان (أدهم) قد حطَّم فكَّه السفلى بمقبض المسدس الذى يمسكه بيمناه ، وسقط (ساندر) فاقد الوعى فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت الذِّئاب السبعة وهم يسرعون إلى الشرفة .. فالتفت (أدهم) إلى (أدولف) ، وقال فى صرامة جمَّدت الدم فى عروقه :

— أعد جهاز التسجيل أيها الوغد ، فستُملى اعترافك بعد أن أنتهى من تحطيم ذئابك السبعة .

وفى نفس اللحظة التى نطق فيها (أدهم) آخر حروف كلماته ، اندفع الرجال السبعة داخل الشرفة ، وارتفعت فوَّهات مسدساتهم نحو (أدهم) ، الذى قفز جانبًا فى مهارة ، وأطلق رصاصات مسدسه الست دفعة واحدة ..

توقَّف رجال (أدولف) فى ذهول ، حتى ذلك الذى ظل محتفظًا بمسدسه منهم ، فقد أطارت رصاصات (أدهم) الست التى انطلقت متعاقبة فى سرعة مذهلة مسدساتهم ، دون أن يصاب أحدهم بخدش واحد ، كان هذا يوحى بأن خصمهم لا يتقن إطلاق النار فحسب ، بل إنه يعلم أيضًا كيف يقاتل الرجال .

وصرخ (أدولف) ليخرج رجاله من ذهولهم :

— حطِّموه يا رجال .. أنتم سبعة فى مقابل واحد ، مزِّقوه إربًا .

* * *

اندفع الذّئاب الستة الذين فقدوا أسلحتهم نحو (أدهم) ، وعيونهم تصرخ بالشرّ ، وأثبتوا مرة أخرى أنهم فاشلون تمامًا فى التكنيك الحربى ، فقد صنعوا من هجومهم ساترًا يحُول بين مسدس زميلهم السابع ورأس (أدهم) ، الذى استقبلهم كما ينبغى أن يفعل ضابط قوات خاصة سابق ، وضابط مخابرات مصرى حالى يعرف باسم (رجل المستحيل) .

فقد تحرّكت أطراف (أدهم) الأربعة دفعة واحدة ، وعلى نحو مذهل ، حتى بالنسبة لبطل ألعاب القوى فى أولمبياد عالمى ، وحطّمت قبضته اليمنى فكّ أقرب الرجال إليه ، وهشّمت اليسرى أنف الثانى ، وارتفعت قدمه اليمنى لتغوص فى معدة الثالث ، واليسرى لتركل وجه الرابع .. كل هذا فى اللحظة الأولى من القتال ، ولم تكد تبدأ اللحظة الثانية حتى تلقّى الرجل الخامس لكمة فى منتصف صدره ، هشّمت إحدى ضلوعه ، وتحطّمت ترقوة السادس بلكمة أخرى هوت عليه كالصاعقة ..

وقف الرجل السابع مرتبكًا حائرًا ، ويده تتحرّك يمنةً ويسرةً ، فى محاولة لإيجاد ثغرة يطلق منها النار على رأس (أدهم) ، ولكن اللكمات والركلات المتوالية التى كان (أدهم) يطلقها يمنةً ويسرةً ، أصابته بحَيْرة بالغة ، وخشى أن يطلق رصاصة واحدة دون أن يتبيَّن خصمه جيِّدًا ، وسط ذلك الـخِضَمّ من الأذرع والسيقان المتشابكة ، وزاد من حَيْرته وارتباكه تلك الصرخات التى أخذ يطلقها (أدولف) فى محاولة لحثّ رجاله على هزيمة خصمهم الشيطانى الرهيب ، الذى يقاتل فى بسالة ككتيبة كاملة ..

وأخيرًا .. ظن الرجل السابع أنه قد وجد الطريق إلى رأس غريمه ، فأسرع يضغط زناد مسدسه ، وانطلقت الرصاصة من فوّهة المسدس تحمل توقيع الموت لمن تلتقى به ، وتوقّف الجميع بغتة .. توقّف الرجال الستة لأنهم فقدوا وعيهم ، وتسمَّر الرجل السابع على صوت رصاصته وهى ترتطم بعظام صلبة ، وأصابت

رصاصة الموت هدفًا ، وانقض ملك الموت ليحصل على فريسته ، وسط أحراش (كيب تاون) التى لا ترحم أحدًا .

* * *



٩ ــ أطياف الفشل ..

كان أول صوت انبعث بعد ذلك التوقُّف المفاجئ ، هو صوت (أدولف حونين) ، الذى أطلق خوارًا كالثور الذبيح ، وجحظت عيناه حتى كادتا تنفجران عَبْر مقلتيه ، وتدلَّى لسانه خارج فمه ، فى شكل مخيف مزعج ، وتدفَّق الدم غزيرًا من الثُّقب المستدير الذى صنعته رصاصة رجله ، وغطَّى الدم وجه (أدولف) وتقاطر على أرض الشرفة ، ثم سقط جثة هامدة فوق المنضدة ، مُسْقِطًا زجاجات الخمر ، وأطباق اللحم التى امتلأ بها جسده عن آخره ، وسقط معه أمل (أدهم) فى الحصول على اعتراف مسجل ببراءة (مصر) من جريمة قتل الوطنيين الزنوج ..

اتسعت عينا الرجل السابع فى رعب ، وقد تبيَّن فداحة ما ارتكبت يداه ، وقبل أن يستعيد اتزانه كانت

قدم (أدهم) قد أطاحت بمسدسه ، وجذبه (أدهم) من قميصه فى قوة ، ورفع قبضته ليلكمه ، إلّا أن الرجل صرخ فى رعب وهو يخفى وجهه بكفيه :

ــ كلّا .. كلّا .. سأفعل كل ما تطلب .

كان العنف المتوالى ، ومصرع الزعيم قد حطّما أعصاب الرجل ، وكان مستعدًّا للتعاون بصدق ، فدفعه (أدهم) نحو أقرب المقاعد إليه ، وسأله فى صرامة :

ــ هل أنت مستعد لتوقيع اعتراف بما فعلته المنظمة ، وبقتلكم ضابط المخابرات المصرى الذى سبقنى إليكم ؟

ظهرت الحَيْرة فى عينى الرجل ، وقال :

ــ سيقتلوننى لو أننى فعلت ذلك ، إنهم لا يرحمون من يشى بهم .

بدت عينا (أدهم) صارمتين ، وهو يقول :

ــ سأقتلك أنا لو أنك لم تفعل .

ظهر اليأس فى عينى الرجل ، وقال فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ــ افعل إذن ، فلا ريب أنك ستقتلنى بوسيلة أكثر رحمة مما يفعلون .

صمت (أدهم) لحظة مفكّرًا ، ثم سأل الرجل :

ــ هل يمكنك أن تدلى باعتراف غير رسمىّ إذن ؟

تطلّع إليه الرجل كغريق يتعلّق بآخر أمل فى النجاة ، وصاح :

ــ سأفعل كل ما تطلبه منّى ، مادام أحد لن يعلم ذلك .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ــ حسنًا يا رجل .. ستخبرنى بكل ما فعلتم .

* * *

توقّفت سيارة صغيرة تقل (منى توفيق) ، أمام منزل (موناسا) ، فى ذلك الحىّ الفقير من أحياء (كيب تاون) ، وقفزت هى منها بادية القلق ، ودقت

باب المنزل غير مبالية بقدومها فى مثل هذا الوقت من الصباح المبكّر ، وأطلّت بعض الوجوه السوداء ، تحدّق فى دهشة بتلك البيضاء التى تقتحم حىّ الزنوج فى مثل هذا الوقت ، ولم يلبث الزنجى العجوز أن فتح باب المنزل الصغير ، ووقف يتطلّع إليها فى دهشة ، ثم غمغم فى سخط :

ــ إنها الرابعة صباحًا يا سيّدتى و ....

قاطعته بسؤال حاسم :

ــ أريد مقابلة (موناسا) .

أخفى العجوز دهشته ، وهو يقول :

ــ لا يوجد من يحمل هذا الاسم هنا يا سيّدتى .

أجابته فى خشونة :

ــ لقد قابلته هذا الصباح ، وكنت أحمل بشرة سوداء ، بصحبة زميل لى يدعى ....

قاطعها العجوز ، وهو يتأمّل ملامحها البيضاء فى شك :

ــ لا ريب أنك أخطأت يا سيّدتى .

تنهّدت (منى) فى ضيق ، وحاولت تذكُّر عبارة السّرّ التى اتفق عليها مسبقًا ، ولكن حالة القلق والتوتُّر التى تمر بها وقفت حائلًا دون ذلك ، فقالت فى ضيق :

ــ صدّقنى أيها العجوز ، لقد كانت هناك عبارة سرّيّة تبدأ بحديث عن الأُسُود و ....

قاطعها العجوز ، قائلًا فى برود وهو يغلق الباب :

ــ لقد أخطأت يا سيّدتى .

لم تجد (منى) مفرًّا مما فعلته ، فقد أخرجت فجأة مسدسها الصغّير ، ووضعته على رأس العجوز وهى تقول :

ــ حسنًا أيها العجوز .. لقد اضطررتنى إلى هذا الأسلوب .

شحب وجه العجوز وهو يقول :

ــ هذا اعتداء على حرمات خاصّة يا سيّدتى .

قالت فى برود :

— إننى أتحمَّل النتائج .

أفسح لها العجوز الطريق ، فاندفعت إلى المنزل ، واتجهت مباشرة إلى الساتر الذى يغطِّى الحائط المقابل ، فأزاحته ، ومدَّت يدها تفتح الباب الداخلى ، ولكنها فوجئت بصوت يأتى من خلفها قائلًا :

— لا يوجد أحد يا سيِّدتى ، لقد انصرف الجميع .

استدارت (منى) إلى مصدر الصوت ، فرأت رجلًا زنجيًّا يصوِّب إليها مسدسًا ضخمًا ، ويبتسم ابتسامة لم ترق لها ، وأرادت إثبات حسن نيَّتها ، فأبعدت مسدسها وهى تقول :

— إننى أنتمى إلى المعسكر الصديق ، وأنت السيِّد (بتسوى) .. أليس كذلك ؟.. لقد تقابلنا هذا الصباح .

بدت ابتسامته مقيتة ، وهو يقول :

— لست أذكر هذا يا سيِّدتى .

صاحت فى يأس :

— حاول أن تتذكَّر يا سيِّد (بتسوى) ، الأمر خطير للغاية ، فبينكم خائنٌ أخشى أن يتسبَّب فى مصرع زميلى و ....

قاطعها قائلًا فى برود :

— أعلم ذلك يا سيِّدتى :

صاحت فى أمل :

— أخبرنى إذن أين أجد (كوانا) ؟.. لقد وصلت معلومات جديدة و ....

عاد يقاطعها ، وقد تحوَّلت ابتسامته إلى تعبير مخيف :

— ستخبريننى كل مالديك من معلومات يا سيِّدتى .

نظرت إليه (منى) فى دهشة ، على حين صاح العجوز فى اهتمام :

— مادمت تعرفها ، فلم لا ندعوا (موناسا) و ...

وفجأة .. بتر العجوز عبارته ، واتسعت عيناه رعبًا

وهو يحدِّق فى وجه (بتسوى) فى ذهول ، وغمغم محشرجًا :

— إنه لم يكن (كوانا) .. إنه ....

انطلقت رصاصة من المسدس عبْر كاتم للصوت ، وصدر منها فحيح كالأفعى ، ثم استقرت فى رأس العجوز ، الذى سقط جثة هامدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتراجعت (منى) فى فزع وهى تقول :

— يا إلهى !! أنت .

أجابها (بتسوى) فى هدوء :

— نعم يا سيِّدتى ، لقد أخطأتم بشأن (كوانا) ، وسيكون مصرعك ثمن هذا الخطأ .

* * *



استقرت فى رأس العجوز ، الذى سقط جثة هامدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتراجعت (منى) فى فزع ..

١٠ ـ الخائن ..

ظلَّت (منى) تحدِّق فى وجه (بتسوى) دقيقة كاملة فى ذهول ، ثم لم تلبث أن تمالكت أعصابها ، وقالت :

ـ ولكن (كوانا) هو الذى ....

قاطعها (بتسوى) ، وهو يقول فى لهجة ساخرة :

ـ هو الذى قال إن السيِّد (أدهم صبرى) أبيض البشرة ، وهذا مادفعكم إلى الشك فيه .. أليس كذلك ؟

ثم أطلق ضحكة ظافرة مع علامات الذهول التى ارتسمت على وجه (منى) ، وتابع قائلًا :

ـ إن (كوانا) غبىّ كالآخرين ، إنه يؤمن بالغيبيَّات كالسِّحر والرؤيا وخلافهما ، ولقد كنت وزملائى من (الموساد) نتوقَّع أن ترسل المخابرات

المصرية شيطانها الشهير لإنهاء القضية ، مادام زميله السابق قد لقى مصرعه على أيدينا ، وفى اليوم السابق لقدومكم ، أوهمت أنا (كوانا) أننى رأيت رؤيا تقول إنه سيصل إلينا رجل مخابرات مصرى يدعى (أدهم صبرى) ، وأنه أبيض البشرة ، وسيتظاهر بمعاونتنا ، ولكنه سيقودنا إلى حتفنا فى النهاية .

وابتسم كمن يشعر بفخر لما فعله ، ثم أردف :

ـ ولم يكد الشيطان المصرى يعلن عن اسمه فى حجرة القيادة ، حتى أطلق (كوانا) شهقة دهشة ، فقد ظن هذا يؤيد رؤياى ، ودفعته ثقته هذه إلى أن يعلن أن (أدهم صبرى) رجل أبيض متنكِّر فى هيئة زنجى ، وكان هذا كفيلًا بخداعكم حتى تتصوَّروا أنه الجاسوس المنشود .

مطَّت (منى) شفتيها ، وهى تقول :

ـ لقد خُدعْنا بالفعل .

ابتسم فى فخر ، وقال :

ـ لقد تأكَّدت من ذلك ، حينما أخبرنى (موناسا) أنكما حذَّرتماه من (كوانا) .. لقد تصوَّرتم أنكم تتعاملون مع أغبياء ، ولعل هذا يؤكد لك أننا أذكى جهاز مخابرات فى العالم أجمع .

تأمَّلته (منى) لحظة فى صمت ، ثم سألته :

ـ لماذا لم تحاولوا القضاء على منظمة (الأسُود السُّود) مباشرةً ، بدلًا من التجسُّس عليها طوال الوقت ؟

ضحك فى سخرية ، وقال :

ـ سؤالك هذا يثبت أننا الأقوى والأذكى .

ثم ضاقت عيناه ، وهو يستطرد قائلًا :

ـ لو أننا قضينا على منظمة (الأسُود السُّود) ، لبرزت منظمة جديدة تناهض من أجل الحرية ، كما يحدث فى كل البلاد المحتلة ، وبدلًا من اللُّجوء إلى ذلك الأسلوب الأحمق ، فضلنا أن نترك (الأسُود السُّود) يعملون تحت أبصارنا ، وكنا دائمًا قادرين على معرفة

أسرارهم وتتبع خطواتهم ، وإيقاف أعمالهم وتطوُّرهم ، وهم يظنون أنهم يعملون تحت ستار من السِّرِّية والأمن ، والدليل على نجاح أسلوبنا ، هو نجاحى فى التوصُّل إلى ذلك المنصب القيادى فى منظمة (الأسُود السُّود) .. لقد نجحت فى خداعهم جميعًا .

عقدت (منى) ذراعيها أمام صدرها ، وسألته :

ـ لماذا حاولتم تحطيم العلاقة بين (مصر) ومواطنى (جنوب إفريقيا) إذن ؟

مطَّ شفتيه فى غرور ، وهو يجيبها قائلًا :

ـ لقد بدأ هؤلاء المواطنون الأغبياء ينظرون إلى (مصر) ، وكأنها مهد الحرية وشعاع الأمل فى (إفريقيا) ، وبدءُوا يتطلَّعون إلى مافعلته بالمستعمرين ، وهنا كان لا بدَّ من تحطيم مثلهم الأعلى هذا ، وفى هذا الخصوص لم يكن أمامنا سوى قتل بعض الوطنيين على نحو بشع ، وإلصاق التهمة بالسفارة المصرية .. لعبة سهلة .. أليس كذلك ؟

سألته فى حدَّة :

ــ وماذا يفيد (الموساد) من ذلك ؟ إنكم لا تحتلون (جنوب إفريقيا) .

أجابها فى برود :

ــ ولكن لنا مصالح عديدة تعتمد على بقاء الوضع على ماهو عليه هنا .. ثم إن عدوى التحرُّر تنتقل دائمًا بشكل يسبِّب لنا الكثير من المشاكل فى دولتى .

قالت فى لهجة ساخرة :

ــ الطيور على أشكالها تقع .

هزَّ كتفيه وهو يقول :

ــ ربما !!

ساد الصمت لحظات ، ثم عادت (منى) تسأله :

ــ من قتل زميلنا السابق ؟

ابتسمَ وهو يقول :

ــ لقد نجح زميلكم السابق فى الوصول إلى كشف شخصيَّتى ، وكان هذا يمثل خطرًا بالغًا على خُطَّتنا ، والأدهى أنه نجح فى الوصول إلى وكر الزعيم

(أدولف) ، وكاد يحصل على وثائق خطيرة تدين تنظيم (الذئب الأبيض) بأكمله ، ولم يكن أمامى سوى قتله :

ظهر الغضب على وجه (منى) ، وهى تقول :

ــ هل قتلته أنت ؟

أجابها فى سخرية :

ــ إننى أعشق قتل ضباط المخابرات المصرية .

أشارت (منى) إلى جثة العجوز ، وقالت :

ــ هل تعشق قتل المسنِّين أيضًا ؟

أجابها فى برود :

ــ من قال إننى قتلته ؟ أنت التى فعلت ذلك .

اتسعت عيناها دهشة ، وهى تقول :

ــ أنا ؟.. هل تنوى إلصاق التُّهمة بى ؟

ابتسم فى شراسة ، وهو يقول :

ــ سأنزع كاتم الصوت من مسدسى ، وأطلق منه رصاصتين ، ستستقر أولهما فى رأسك الجميل ، والثانية

فى سقف المنزل ، وحينما يهرع الوطنيون إلى هنا ، سأبدى الجزع أمامهم ، وسأقول إنك قتلت العجوز ، فاضطررت لقتلك دفاعًا عن نفسى .

سألته فى غضب ، دون أن يبدو عليها أثر الخوف :

ــ وهل تظن أنهم سيصدِّقونك ؟

تألقت عيناه فى وحشية ، وهو يقول :

ــ إن عقولهم الضعيفة تجعلهم شديدى الحساسية تجاه البيض ، وهم يميلون إلى تصديق كل ما ينسب إلى البيض من أعمال إجرامية ، ولا تنسىْ أن الجميع رأوْك تهدِّدين العجوز بمسدسك ، وتدخلين إلى المنزل عُنوة .

سألته فى هدوء :

ــ وهل تظن أنك ستنجو ؟

هزَّ كتفيه قائلًا :

ــ بالطبع .. بل ربما أتمادى ، فأطلق النار على (كوانا) بحجة أنه جاسوس قذر .. ولن يدهشنى أن أصبح عمًّا قريب زعيم منظمة (الأُسود السُّود) .

أطلق ضحكة ساخرة عالية ، إعجابًا بخُطَّته الجهنمية ، فغمغمت (منى) :

ــ يالها من خُطَّة شيطانية !! ستكون زعيمًا لمنظمة سوداء ، وعميلًا لمنظمة بيضاء فى الوقت ذاته ، وستبدو المنظمتان متصارعتين ظاهريًّا ، ولكنهما متعاونتان داخليًّا ، فلا ريب أنك ستقود (الأُسود السُّود) إلى كل ماهو ضد خُطَّة بحثهم عن الحرية .. أليس كذلك ؟

ضحك فى وحشية ، وهو يقول :

ــ سيساعدنى حماسهم الأعمى على ذلك ، وستبدو أعمالى ثورية عظيمة ، وستعتمد على بعض الاغتيالات والأعمال التخريبية التى تجعلهم يبدون فى صورة همجية ، تفقدهم تأييد العالم أجمع .

ابتسمت (منى) فى سخرية عجيبة ، وهى تقول :

ــ يالك من متفائل !!

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :

ــ ستنجح خُطَّتى أيتها المصرية و ....

وفجأة .. بتر عبارته ، وتطلّع إليها فى ريبة ، وقال :

ـ ولكن كيف تبدين هادئة هكذا ؟ هل ....

وقبل أن يتم عبارته ، فُتح باب المنزل فجأة ، وبدا على عتبته (أدهم صبرى) باسمًا فى سخرية ، وإلى جواره (موناسا) بادى الغضب ، وخلفهما عشرات من المواطنين الزنوج ، وتجاهل (أدهم) وجود (بتسوى) تمامًا ، ونظر إلى (منى) ، قائلًا فى هدوء :

ـ هل أدّيت عملك كما ينبغى يا عزيزتى ؟

وأمام عينى (بتسوى) الذاهلتين ، رفعت (منى) ساعة يدها أمام وجه (أدهم) ، وابتسمت هى تقول فى هدوء :

ـ نعم يا زميلى العزيز .. لقد سجلت كل كلمة نطق بها هذا الوغد .

* * *

١١ ـ المفاجأة ..

حدّق (بتسوى) فى الجمع الذى يراقبه فى ذهول ، وحاول أن يمسك خيوط اللُّعبة مرة أخرى ، فصاح متظاهرًا بالجزع :

ـ لقد ألقيت القبض على البيضاء ؛ لأنها قتلت العجوز ، لقد كنت ....

قاطعه (أدهم) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ عجبًا .. إننا لم نسمع صوت رصاصة تنطلق من مسدسها أيها الوغد ، ومسدسك وحده هو المزوَّد بكاتم للصوت .

شحب وجه (بتسوى) ، وهو يقول :

ـ إنه مسدسها لقد انتزعته منها و ....

عاد (أدهم) يقاطعه ، قائلًا :

ـ لم تعد هناك فائدة أيها الوغد ، لقد كشفت أمرك

بنفسك ، لقد اعترف لى أحد رجال (أدولف) أنك أنت الخائن ، وأنك أنت الذى قتلت زميلنا (عبد الفتاح) ، ولكننى لم أكن أمتلك دليلًا يكفى لإقناع (موناسا) والآخرين ؛ لذا فقد فكّرت فى هذه الخدعة ، وحضرت (منى) إلى هنا متظاهرة بالجزع ، وادّعت أنها تلقّت معلومات جديدة ، ودفعتك محاولتك منعها من إخبارى إلى كشف نفسك أمامها ، وكنت مطمئنًا إلى أنك ستقتلها ، فيدفن سرّك معها .

وابتسم فى حنان وإعجاب وهو يتطلّع إلى (منى) ، قبل أن يتابع قائلًا :

ـ وأعترف أن (منى) قد قامت بدورها على أكمل وجه ، ولاريب أنها تفوّقت على أعظم ممثّلى العالم وهى تؤدّى دوْر الذاهلة ، حينما اعترفت أمامهـــا بخيانتك ، وقادتك كالأبله إلى اعتراف كامل ، سجلته أجهزتنا ونحن نجلس داخل سيارتها أمام المنزل .

قال (بتسوى) ، فى محاولة يائسة للنجاة :

ـ لقد كنت أخدعها و ....

قاطعه (أدهم) فى سخرية :

ـ وتماديت فى خداعك إلى حدّ قتل العجوز .. كلّا أيها الوغد ، لقد فشلت فى آخر محاولة للخداع .

التقط (موناسا) طرف الحديث من بين شفتى (أدهم) ، وقال فى غضب :

ـ لقد سمع الجميع كل كلمة نطقت بها أيها الخائن ، لقد تكشّفت أمامنا أبعاد اللُّعبة القذرة التى كنت تنسجها حولنا ، ولقد تشاورنا فى الأمر ونحن نستمع إلى اعترافك ، ولم نناقش الأمر طويلًا ، بل حاكمناك ، وأصدرنا حكمنا فورًا .

وصمت لحظة تضاعف فيها الغضب فى ملامحه ، قبل أن يردف قائلًا :

ـ ولقد جاء الحكم بعد موافقة الجميع بالإعدام .

شحب وجه (بتسوى) بشدّة ، ثم تحرّك فجأة قبل أن ينتبه الجميع إلى ما ينتويه ، وقبل أن يقفز (أدهم)

نحوه كان قد طوّق عنق (منى) بذراعه ، وألصق فوّهة مسدسه بجبهتها ، وقال فى صوت وحشىّ صارخ :

ــ سأصدر حكمًا بإعدامها قبل أن يتحرّك واحد منكم أيها السادة ، ولكم أن تختاروا .. حياتها أو حياتى .

* * *

ضاقت عينا (أدهم) ، والتقى حاجباه ، وهو يقول فى لهجة باردة :

ــ إنك تزيد موقفك صعوبة أيها الوغد .

أطلق (بتسوى) ضحكة ساخرة تفيض مرارة ، وقال :

ــ أى موقف هذا الذى سيزداد صعوبة أيها الشيطان المصرى؟ لقد أصدروا حكمهم علىّ بالإعدام ، هل تعرف ما يفوق ذلك ؟

خرجت كلمات (أدهم) باردة كالثلج ، حادّة كالسيف ، مخيفة كالموت ، وهو يقول :

ــ نعم أيها الوغد ، هناك ما هو أكثر من الموت ، ولو لم تطلق سراح (منى) فورًا ، لأذقتك من العذاب ماتتمنّى معه الموت ألف مرّة .

شحب وجه (بتسوى) ، وشعر بكلمات (أدهم) الباردة تجمّد أطرافه ، ولكنه سرعان ماانفض هذا الشعور عن نفسه ، وقال فى عناد :

ــ ولو لم تبتعد عنّى ، وتفسح لى الطريق لحوّلت رأس زميلتك الجميلة هذه إلى كومة من اللحم المفرى .

ظل (أدهم) صامتًا يحدّق فى عينى (بتسوى) فى صرامة ، ثم قال فى هدوء يحمل دوّامات الخطر :

ــ لو أنك مسست شعرة من رأس (منى) ، فسأمزقك إربًا أيها الوغد .

صرخ (بتسوى) فى غضب :

ــ كفّ عن مناداتى بالوغد .

أجابه (أدهم) فى صرامة وعناد :

ــ كلّا أيها الوغد .

ظهر غضب عارم عنيف على وجه (بتسوى) ، وشدّد ضغط ذراعه على رقبة (منى) ، وهو يصرخ :

ــ أفسح الطريق أيها المصرى .. إننى آمرك .

وبدلًا من أن ينزاح (أدهم) جانبًا ، تقدّم نحو (بتسوى) بخطوات بطيئة ، قائلًا فى برود كالثلج :

ــ اتركها أيها الوغد ، قبل أن تتمنّى الموت .

تراجع (بتسوى) وهو يصرخ :

ــ سأقتلها .. أقسم لك إننى سأفعل .

تضاعف الغضب فى عينى (أدهم) ، وهو يواصل تقدّمه نحوه ، قائلًا :

ــ اقتلها لو أنك تملك الجرأة لفعلت ذلك ، إنك تمثل دولتك خير تمثيل ، فأنت تجيد الخداع والتلاعب ، ولكنك لا تقدر على مواجهة من يفوقك قوة .

صرخ (بتسوى) ، وقد التصق بالحائط :

ــ قلت لك إننى سأقتلها .

ثم حوّل اتجاه مسدسه فجأة نحو (أدهم) ، وضغط الزّناد .

* * *

انطلقت الرصاصة من فوّهة مسدس (بتسوى) ، ولكنها لم تنطلق نحو (أدهم) ، وإنما أصابت سقف الحجرة .. فلم يكد (بتسوى) يزيح فوّهة مسدسه عن رأس (منى) ، حتى انقض عليه (أدهم) كالقنبلة ، وأزاح ذراعه الممسكة بالمسدس إلى أعلى ، ثم رفع يده الأخرى بعيدًا ليفلت عنق (منى) من قبضته ، وقبض على ذراعىْ (بتسوى) بقبضتين كالفولاذ ، ورفعه عن الأرض كطفل صغير ، ثم جمع غضبه ومقته فى لكمة قوية هوى بها على فكّ (بتسوى) ، وأعقب ذلك بأخرى فى معدته ، وثالثة فى أنفه ، ورابعة ، وخامسة ، وسادسة ، وفى كل ضربة كانْ (أدهم) يودع جزءًا من غضبه وكراهيته للتعصُّب والعنصرية ، حتى صرخت (منى) :

— كفى يا (أدهم) .. إنك ستقتله .

توقّـف (أدهـم) عن توجيـه لكماتـه إلى (بتسوى) ، وسقط هذا الأخير متكوّمًا على أرض الغرفة ، والدماء تسيل من فمه وأنفه ، ولانت ملامح (أدهم) وهو يستدير نحو (منى) ، سائلًا إيّاها فى هدوء :

— هل أنت بخير يا عزيزتى ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، على حين ربّت (موناسا) على كتف (أدهم) ، وقال :

— إننا ندين لك بالمحافظة على منظمتنا ومناصرة قضيتنا يا سيّد (أدهم) .. لقد فعلت (مصر) من أجلنا الكثير .

ثم استدار إلى مواطنيه الذين يتابعون الموقف ، وقال :

— لعل هذا يكون درسًا لكم يا إخوة الوطن .. لقد خاننا زنجى مثلنا ، وعاوننا رجل وامرأة لهما بشرة بيضاء ،

وليكن هذا دليلًا على أن لون البشرة لا يصنع البطل والخائن ، ولا الذكى والغبىّ ، ولا الشريف واللّص ، وإنما هو غلاف خارجىّ يخفى موطن الحقيقة .

وضرب موضع قلبه فى قوة ، وهو يقول :

— القلب .. القلب هو موطن الحقيقة يا رفاق

ربّت (أدهم) على كتفيه ، وقال باسمًا :

— مهلًا يا صديقى (موناسا) ، فلنؤجل هذه الخطبة إلى الغد ، فأنا أتوق إلى بعض النوم ، ولقد انبلج الفجر بالفعل .

استدار (موناسا) يتأمّل ملامحه فى إعجاب ، ثم ابتسم ابتسامة شملت وجهه بأكمله ، وبسط ذراعه أمامه قائلًا :

— أنت محقّ يا صديقى المصرى ، لقد انبلج فجر جديد .

وفى صمت أبلغ من الكلام ، مدّ (أدهم) كفه ، وتصافح الرجلان ، ليؤكدا صداقتهما والتقاء شعبيهما تحت راية الحريّة وكراهية الميول الاستعمارية .

* * *

١٢ — الختـام ..

عاون (أدهم) (منى) فى حل حزام مقعدها ، حينما ارتفعت الطائرة مغادرة (كيب تاون) ، واستقر جالسًا إلى جوارها ، وقد أغلق عينيه فى صمت ، وسيطر الصمت عليهما بعض الوقت ، ثم التفتت إليه (منى) ، وسألته :

— فيمَ تفكّر يا (أدهم) ؟

ابتسم وهو يقول :

— إننى أحاول تخليص ذهنى من كل الأفكار يا عزيزتى .

ضحكت وهى تقول :

— لقد حاولت ذلك أنا أيضًا ، ولكننى فشلت .

شاركها ضحكها وهو يقول :

— وأنا كذلك يا عزيزتى .

سألته فى اهتمام :

— هل تظن أن مشكلة (جنوب إفريقيا) ، يمكن أن تحل يومًا ما يا (أدهم) ؟

مطّ شفتيه وهو يقول :

— ولم لا ؟.. لقد رزحت (مصر) تحت نير الاحتلال سبعين عامًا ، ثم لم تلبث أن تحرّرت .. إن الاستعمار كيان هشّ يا عزيزتى ، لا بدّ له من الزوال يومًا ما مهما طال الأمد .

تنهّدت وهى تقول :

— إننى أصدّق هذا القول .

ثم عادت تسأله فى فضول :

— لقد كدت تقتل (بتسوى) .. أليس كذلك ؟

ابتسم وهو يجيبها ، قائلًا :

— لقد أثار غضبى يا عزيزتى .

تخضّب وجهها بحمرة الخجل ، وهو يردف قائلًا :

— لقد هدّد بالإساءة إليك .

أشاحت بوجهها حياءً ، وهى تقول :

ــ أكان هذا من أجلى ؟

ابتسم وهو يتأمّلها فى حنان ، ويربّت على كفّها قائلًا :

ــ أيراودك الشكّ فى هذا يا عزيزتى ؟

هزّت رأسها نفيًا دون أن ترفع وجهها إليه ، فابتسم ، وعاد يسند رأسه إلى مقعده ، ويغلق عينيه ، ويلُوذ بالصمت ، واحترمت (منى) صمته ، فصمتت بدورها ، حتى سألها فى هدوء :

ــ هل لاحظت أنها المرة الأولى ، التى نعمل فيها فى واحدة من دول الجنوب الإفريقى ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ــ لم أشعر بفارق كبير .. فالجريمة هى الجريمة فى كل مكان وزمان .

ابتسم وهو يقول :

ــ ولكننى أشعر بنشوة ، كلما حققت نصرًا جديدًا فى بلد جديد .

تأمّلته لحظة ، ثم ابتسمت فى إعجاب ، وقالت :

ــ أنت تنتصر دائمًا يا (أدهم) ، وسيأتى يوم تعلّق فيه كل دول العالم لافتة أنيقة تقول : « هنا انتصر (رجل المستحيل) » .

* * *

[تمت بحمد الله]